على سياسة الدولة العثمانية صاحبة السيادة على هذه البلاد وادارتها فاذا هي احسنت الادارة والسياسة وعنيت بأمر القوة الحربية في جزيرة العرب وقت البلاد من الاستيلاء الاجنبي والا فالخطر الواقع واقع ماله من دافع

اما رأيي في القوة التي يجب ان تمدها الدولة لوقاية جزيرة العرب فهي تعميم تسليح العشائر والقبائل فيها وارسال ضباط اليهم يعلمونهم النظام العسكري والاعمال الحربية ولا سيما ضرب المصائب ، وان تقر جميع الامراء والزعماء في الجزيرة على ما كانوا عليه من الرياسة في قومهم ، وتستعين بهم على ما تريد من تعميم القوة في بلادهم . وقد بينت هذا الرأي في المنار من قبل وذكرت به بعض رجال الدولة ويؤيده ما جرى في طرابلس الغرب ولا خوف على الدولة ولا على سيادة العنصر التركي فيها من ذلك وقد ازددت بمباحثي هذه في البلاد العربية ايماناً ويقيناً بما كنت أعتقده من قبل من اخلاص العرب للدولة العثمانية واستعدادهم لبذل أرواحهم في سبيلها . وان اظهار ثقتها بهم لمما يقوي هذا الاخلاص في أنفسهم ، ويسرع باظهار ثمراته فيهم

ان الدولة الانكليزية قد اشتدت في منع ادخال السلاح لليمن ولعمان والعراق من عدة سنين وهي تسعى الآن بجمع السلاح من العراق وسواحل الخليج وعمان حتى انها تشتريه بالثمن فهل عرف رجال الدولة هذا وفكروا في أسبابه وحكمته ، وفي عاقبته وعبثه ؟

وكتب في البصرة في جمادى الثانية سنة ١٣٣٠ « للكلام بقية »

السيد حسين وصفي رضا

(أقوال الفضلاء فيه)

ننشر في هذا الباب شيئاً من تعازي اهل الفضل في الاقطار البعيدة وغير البعيدة ونتبعه بشيء مما كتبته الجرائد السورية والمصرية ثم نتبع ذلك بنشر حفلة التأبين التي أقيمت من فضلاء وأدباء بيروت في غرف القراءة بمناسبة مرور اربعين يوما على وفاته

(٢٨)

ومما كتبه احد افاضل علماء تونس

الى اخينا العلامة الشيخ محمد رشيد رضا افرغ الله عليه صبراً

ايا بعد فان لله وانا اليه راجعون . الآن علمت نبأ موت صاحبي الفاضل وصديقي

الكريم سيدي حسين وصفي تغمده الله برحمته وأحسن عزائي وعزاكم والله ان لي لسهماً في هذا المصاب فلقد فقدت الخليل الوفي والرجل الكامل رجل البصيرة النافذة والمعارف الواسعة والمرامي العالية ويا ليتني كنت مكانه

(٢٩)

وكتب أحد فضلاء ادباء القيروان (تونس)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

مولاي الاستاذ الاكبر صاحب المنار الانور !

سلام الله عليكم ورحمته. أما بعد فقد نعى الينا المنار رجلا وأي رجل رجل العفة ، ورجل النزاهة ، رجل الفصاحة ، رجل البلاغة ، كاتب الشبان وشاب الكتاب شقيقكم الحسين الشهيد . لقد أدمى نبه العيون وجرح القلوب وعقل الالسن وأوقف الاقلام فلم تقدر أن تصف هذا المصاب الخطير الذي أصاب الامة العربية بفقيدكم العظيم فانا لله وانا اليه راجعون

أحسب أن فقيدكم من أكتب الكتاب في هذا العصر ولا أنسى ما خطت يمينه في المنار من ذلك مقال أخذ بمجامع القلوب ذكرنا به علماء بغداد وأدباء قرطبة وخجول البلغاء ذلك الذي يرحب فيه بنهضة الزيتونيين يوم اعتصبوا وانقطعوا عن الدرس

أما تقاريظه العلمية للكتب والمخطوطات فلم أر مثلها لغيره واني لاعده من المبرزين في هذا الفن فن الانتقاد الادبي الذي كاد يطمس نوره لولا نهوضكم السريع بالعربية في هذا العصر . فرحمه الله رحمة واسعة ورزقنا جميل الصبر وأجزل ثوابه بقدر مصابنا فيه وأطال بقاءكم وبارك فيكم وفي ذويكم ربيع الثاني سنة ١٣٣٠

(٣٠)

وكتب الينا حضرة الفاضل صاحب الامضاء من فضلاء تونس

(ما هذا الا قضاء من بيده الملكوت)

تونس في ٧ جمادي الاولى سنة ١٣٣٠

حضرة الكاتب الاكتب . والفيلسوف المفكر . السميذع المحقق . الاستاذ سيدي رشيد رضا صاحب « المنار الاغر » أدام الله معاليه . واكبت شانيه - بعد

استهل الخطاب بما يجب تقديمه للجناب من واجب التحية والاحترام اللائق بالمقام أشركم ـ والامل ترتعش ـ بانه ما كاد يطرق سمعي نعي فقيد الادب والفضل والمعالي المأسوف عليه شقيقكم سيدي « حسين وصفي رضا » حتى اعترتني الكآبة. وارتجت بي الارض . وارتعشت مني الفرائص . وفاجأني خفقان رائع ، وما ذلك الا لما أعرف ما كان عليه الفقيد من النبل المتناهي. والسمو الفكري . والمدارك العالية! ولكن صدق عليه الصلاة والسلام حيث قال : « انما يعجل الله بخياركم »

أيها السيد الفاضل! ـ يحق لي أن أتحسب الاتحاب كله . وأرسل مئات الزفرات تأسفاً . وما ذاك الا لحبة أمل كنت أؤمله وهو الحظوة بمشاهدة الفقيد والاجتماع به إن تنازل لذلك . . حيث كان عزم العبد معقودا على زيارة الديار المصرية . وما النهاية من ذلك سوى الشرف بمشاهدة ومعرفة جلة رجال من كتابكم وشعرائكم ومصلحيكم الذين من آن لآخر أتصفح تحريراتهم . واطالع قصائدهم . والنفس تأسف لعدم حظوها برؤيتهم . ومن بين هؤلاء قمت بحافظتي اسم شقيقكم المأسوف عليه الذي طالما قرأت له التحاريز الاصلاحية والمقالات التي ما تم الا عن سمو مداركه . وكمال صفاته وآدابه . ولكن آه! خاب أملي ويالفقدي عليه الف مرة !

سيدي الاستاذ ـ ان مثل الجناب لا يهوزه مثلي كي يحثه على التدرع بدرع الجلد والصبر . ويذكره بان السلامات المؤلم الذي أزعجنا انما هو قضاء من يقضي بين خلقه كيف يريد ـ وقصاراي أن ابتهل الى الرحيم وأسأله ان يعطر على جدث الفقيد العزيز وابل رحمته . ويسكنه جنته التي أعدت للمتقين . ويلهم أهله وذويه وأحباءه وأصدقاءه جميل الصبر وجزيل السلوان . انه هو الذي يقول للشيء كن فيكون .

وانا لله وانا اليه راجعون .

ح . ج

(٣٩)

وكتب العلامة جاغبوت الحنفي أحد علماء قفقاسية

(انا لله وانا اليه راجعون)

جناب شيخنا حكيم الاسلام السيد محمد رشيد رضا ! سلام الله تعالى ورحمته وبركاته عليكم

وبعد: فلما وافاني المنار بخبر شقيقكم الفقيد حسين وضا عظم علينا الخطب به وأحزن قلوبنا وأدمع عيوننا فالمصيبة في ذلك الاخ ليست واحدة بل مصائب تجمعت عندنا

مصيبة الامة بفقده وهو حديث السن ومصيبة الاخوة التي عقدتها يد المكاتبة بيننا وأيدتها مقالاته الاجتماعية التي نشرت في بعض أجزاء المنار ومصيبتكم مولانا فيه وأنتم أحب الناس الينا نسأل الله أن يطول عمر سيدنا الاكبر ويجعل ذلك المرحوم لكم فرطاً صالحا وذخراً عند الله عظيما ويبوئكم مع شهيدكم في حظيرة القدس

أيها الاخ الصديق المخلص السيد صالح رضا ! يعز علينا ما أصابكم في فقيدنا ونسأل الله أن يرزقكم جميل الصبر ويجزيكم جزيل الاجر انا لله وانا اليه راجعون

خيركم المخلص

٢٨ جمادى الاولى سنة ١٣٣٠ جانحوت الحقي

(٣٢)

وكتب الاديب الفاضل صاحب الامضاء ونشرها بجريدة الاهرام الصادرة في ٢١ المحرم سنة ١٣٣٠

(السيد حسين وصفي رضا)

« شهيد المروءة وفقيد الادب »

حملت ليالي هذا الدهر بكوارث تقصم الظهور وتدك راسيات الجبال ثم وضعت في هذه الايام فاجعة صمت هولها الآذان وهامت القلوب فبكى الادب ركنا ركينا والفضل طوداً عظيما ولبست البلاغة حداداً مابعده حداد فلا غرو اذا تحطمت المنابر وتداعت الاعواد . اطفأت هذه الكارثة مصباحا أضاء في سماء الادب ردحا من الزمن . واذبلت زهرة شباب توردت في رياض الفضل فحامت حولها القلوب ثم مالبثت ان توارت بحجاب الاحداث في عالم الابدية حيث السكون التام والسعادة الاخروية

مات حسين شهيد الاباء والنجدة فبكاه الاباء والنجدة وانزوى في العالم الاعلى مطلا من أعلى عليين على شرور هذه البشرية الظالمة والانسانية القاسية . خفقت بانزوائه صوت طالما ناضل عن الحق نضال الابطال . فاليوم يبكي حسينا كل من عرف الفضل وذاق حلاوة الادب ويرثي لمصابنا كل من عاشر حسينا وأدرك هول المصاب

فكل من رأى حسينا رأى الشهامة المجسمة والذكاء النادر ، رأى عزة النفس والاستقلال التام وشهد الوفاء والاخلاص باجلى مظاهرها

فاذا بكوا حسينا فانما يبكون هذه الصفات ، انما يبكون عقل المشيب في رياحين الشباب .

نشأ هذا الراحل الكريم في دار أساسها العلم وعمادها التقوى ، وترعرع في دور

العلوم ومنتديات الآداب فقد عرفته في المدرسة الرشدية في طرابلس الشام فعرفت منه أخا الوفاء وتمثال الذكاء والصديق الصدوق ثم فرقت بيننا عوادي الايام وتصرفات الاقدار فلم أره ولم يرني الا في مصر مهبط الحرية الشرقية

ولما أعلن الدستور في ربوع المملكة العثمانية كان هذا الصديق يتنقل من مصر الى سورية فيحمل جرائم المودة التي تشد أواصر الاخاء فقد عرفته مغايراً سورية الخطيب المصقع وجرائد مصر الكاتب الالمعي . وبالجملة فقد عرفه القطران رسول سعادة وسلام

برح مصر للمرة الاخيرة فلم أوفق واحسرتاه لوداعه فكتب اليّ من بيروت رسالة أذكر منها هذه الكلمات « أخي ! اذا كانت متاعب هذه الحياة المملوءة بالآلام قد حالت دون مشاهدتي لك فاني سأطلعك على أمور وقفت لوضع أساساتها في بيروت خدمة لهذا الوطن الذي أعشقه بكل جوارحي — هذه الامور تنسيك مرارة فراقنا اذا طال ... »

من شهيد النجدة يتيم يضرب ولداً (١) من أولاد القرية ضرباً مبرحاً وقد شهر سكيناً يريد أن يطعن بها ذلك المسكين فدفعت الشهامة حسيناً لانقاذه وقد توفق برشاقة لاغتيال السكين من يد ذلك الجاني ولكن الجاني الاثيم مالبث ان ابتعد فاطلق على المنجد الشريف رصاصة أصابت منه مقتلاً وقد ظل حسين رابط الجأش بضعة أيام حتى كتب الله له الشهادة وقضى على الوطن الباسل بفقد ركن من أهم أركانه . فالشهداء الاوطان بفقد الرجال . ولاسيما رجال كحسين في وطن كسورية هكذا النفوس الكبيرة في حياتها اسوة لكل من أراد أن يلتحق بالعظماء وفي موتها دروس الشهامة والوفاء ، ففي ذمة الله ذلك الشباب الغض والغصن الرطيب وفي أمان الله تلك الاخلاق والخصال الحميدة بل الفضائل المجسمة والنشاط العجيب . ويا رحمتاه للقلوب تعرفك فتبكيك فان مصابنا فيك عظيم وخطبنا وخطب الاوطان جسيم

واني اسأل الله ان يلهم أهله وذويه الصبر ولا سيما أخوته العلماء الاعلام وان يعوضهم بفقده عزاء حسناً وصبراً جميلاً والله ولي الصابرين وهو حسبنا ونعم الوكيل

جميل الرافعي

---

(١) الصواب (امرأة لا ولداً) وعلى هذا يسقط الكاتب بعض روايات الجرائد في كون المضروب ولداً

(اقوال الجرائد)

« في مقتل حسين وصفي رضا »

كتبت جريدة المفيد الغراء التي هي جريدة النابغة العربية في سورية ما يأتي

(وفاة اديب)

قرأنا في جريدة طرابلس خبر وفاة صديقنا الاديب الفاضل المرحوم السيد حسين وصفي رضا على اثر اطلاق احد الاشقياء الرصاص عليه فهالنا هذا النبأ المزعج كما هال كل من عرف ادب السيد وفضله وعلمه واخلاقه

عرفناه منذ امد بعيد فعرفنا فيه الادب الجم الرائع والخلق الكريم الذائع . فقد كان رحمه الله كاتبا عربيا مجيداً وشاعرا فحلا ، لطيف المعاشرة ، انيس المحاضرة ، واسع الاطلاع في تاريخ الآداب العربية وفنونها وفوق هذا كله فقد كان خطيبا اريحاليا حسن الخطابة . وقد كان لا يعرف الرياء والمداهنة والمحاباة بل كان يقول الحق ولو ساء ذلك اعز الناس لديه

شلت يد ذلك الجاني الاثيم الذي اذبل غصنا كان مورقا وحرم الامة من شاب قد خدمها خدمة جلى وانه ليتوقع منه ان يخدمها في المستقبل — لو افسح له في الاجل — اعظم خدمة لما فيه من الاستعداد لمعالي الامور

وقد بلغ فقيدنا الثامنة والعشرين من سني حياته — رحمه الله رحمة واسعة وانا نتقدم الى عائلته الكريمة برفع آيات التعزية خصوصا اخاه الاستاذ السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار ونسأل لهم الصبر والسلوان

وكتبت جريدة الاتحاد العثماني الغراء

(مقتل فظيع)

اطلق اثيم عياراً ناريا على الشاب الفاضل المرحوم حسين وصفي افندي رضا فاصابه في مقتل ولم يلبث ان قضى نحبه فساء هذا المقتل الفظيع كل الذين عرفوا

ادب الفقيد وفضله فنعزي آله وذويه ولا سيما شقيقه الاستاذ السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار ونشدد على الحكومة المحلية وعلى حضرة والي الولاية في وضع حد لهذه الفوضى التي استفحل امرها في طرابلس الشام

وكتبت جريدة الرأي العام الغراء

(وفاة اديب)

من أنباء طرابلس الشام ان بعض الاشرار اغتالوا المرحوم الاديب حسين وصفي افندي رضا فاسفنا لهذا النعي الذي وقع لدينا موقعاً كبيراً لما كان عليه المرحوم من وافر الادب والآداب رحمه الله رحمة واسعة وعزى شقيقه الاكبر الشيخ رشيد رضا صاحب المنار الاغر

وكتبت جريدة الحقيقة الغراء

﴿ نعي اديب ﴾

وافتنا جريدة طرابلس بخبر وفاة الكاتب الاديب السيد حسين وصفي رضا وذلك على اثر رصاصة اطلقها عليه احد الاشقياء فوقع هذا النبأ وقوع الصاعقة على كل من عرف ادب الفقيد وفضله .

ذهب الفقيد ضحية في ريعان شبابه وذهبت معه تلك الآمال الكبيرة والخدمات المنتظرة فشلت يد ذلك الاثيم

فنحن نعزي عائلته الكريمة سيما اخاه الاستاذ السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار ونرجو ان تكون خاتمة احزانه

وبمناسبة قتل المرحوم والحوادث التي تجري في طرابلس الشام نطالب من حازم بك ان يضع حدا لاختلال الامن فالسكوت على هذه الاحوال ضرب من الاستكانة الى الظلم والرضوخ الى الجور .

وكتب المؤيد الاغر بتاريخ ٢١ المحرم وكان اخبر بعدم صحة الخبر

استبشرنا في الامس بالخبر الذي اتصل بنا عن حياة الشاب الفاضل السيد

حسين رضا شقيق صديقنا السيد رشيد رضا ثم لم نلبث أن علمنا بكل أسف أنه انتقل الى رحمة الله شهيد شهامته ومروءته

وقد وقع هذا النبأ في نفوس آله وأصدقائه وعارفي أدبه أشد وقع لانه من خيرة الشبيبة الاسلامية غزير الادب جيد الشعر كريم الاخلاق فنعزي حضرة شقيقه وسائر آله وأصدقائه ونرجو الله أن يلهمهم الصبر الجميل ويديل الفقيد رحمة ونعيما

وكتبت جريدة البرهان عدد ٤ المحرم سنة ١٣٣٠

كان بلغنا منذ أيام ان يدا أثيمة اطلقت مسدسا على الشاب الفاضل الالمعي حسين افندي وصفي رضا ابن المرحوم الشيخ علي رضا في قرية القلمون وقد الم هذا الخبر اصدقاءه ومحبيه في الشرم ماليثوا ان قيل لهم ان الاصابة خفيفة وان الرصاصة اصابت اصل الفخذ ولا ضرر على حياة المصاب ولكن اليوم فوجئنا بخبر وفاته متأثرا بالرصاصة التي وصلت احشائه فكانت سببا في اختراعه وانا نعزي شقيقه الاكبر السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار وسائر اشقائه وأصدقائه العديدين في مصر وسورية ألهمهم الله صبرا على هذا المصاب الاليم والمخطب الجسيم

وكتبت جريدة العمران

﴿ الفوضى في طرابلس الشام ﴾

ان انباء طرابلس الشام مزعجة بحيث لا يأتينا بريد من سورية الا ويحمل لنا منها المفجعات وكان آخر ذلك مقتل حضرة الحسيب النسيب سليل البيت الطاهر وأحد الادباء الذين نفتخر بهم الدساكر المرحوم المبرور السيد حسين وصفي رضا شقيق الاستاذ الشيخ رشيد رضا صاحب مجلة المنار الزاهرة فشق علينا خطبه لان فقدانه خسارة على الادب والفضل وزاد في حزننا انه قتل بيد اثيم معتد في موقف يريد به نصرة مظلوم من ظالم ولا حول ولا قوة الا بالله ونحن نتقدم الى حضرة الاستاذ الشيخ رشيد وعموم اخوان الفقيد وانسبائهم بواجب التعزية ونسأل لهذا الراحل رحمة ورضوانا ولقاتله جزاء وفاقا ولحكومة طرابلس الشام حزما في حفظ الامن العام واقداما

حفلة الأربعين

(تأبين المرحوم السيد حسين وصفي رضا)

في مساء الثلاثاء ليلة ١٧ صفر سنة ١٣٣٠ — ٦ فبراير سنة ١٩١٢ اجتمع فضلاء ادباء بيروت وأقاموا حفلة تأبين لفقيدنا السيد حسين وصفي رضا الحسيني في غرف القراءة الاميركانية واذاعوا تذكرة بدعوة حضور فريق اهل الادب والفضل لمشاركتهم بذلك وكان القائمون بهذه الحفلة قد اسبؤهم صورة تذكرة الدعوة وهذا نصها

﴿ ذكرى فقيد ﴾

«الساعة الثامنة من مساء الثلاثاء في ٦ شباط يحتفل فريق من اخوان فقيد الادب المرحوم السيد حسين وصفي رضا باقامة حفلة تأبين ذكرى لفضله واعترافا بشهامته . وذلك في غرف القراءة على « السور » فترجو حضوركم »

﴿ المتكلمون ﴾

الشيخ محيي الدين الخياط مترجم جريدة الولاية ، الشيخ مصطفى الغلاييني استاذ اللغة العربية في المدرسة السلطانية والكلية العثمانية ، جرجي افندي عطيه صاحب جريدة المراقب ، امين بك طليع مدير مال قضاء الشوف ، الياس افندي حنيكاتي كاتب « مطرانخانة الروم » ، نجيب افندي بليق مدير مدرسة المقاصد الخيرية ، باتر افندي بارلي صاحب جريدة الوطن ، جرجي افندي باز صاحب مجلة الحسناء ، محمد علي افندي النابلسي من التجار ووكيل المنار في بيروت »

وفي الوقت المعين اجتمع كثير من أهل الفضل وشاركوا الفضلاء المحتفلين باحتفالهم وترأس الاحتفال الاستاذ بولس الخولي مدير مجلة الكلية ، فتلا رسالة الشيخ محيي الدين الخياط الشيخ عبد الرحمن سلام لعدم حضوره(١) واتبعها بتأبين له وقام الاستاذ الشيخ مصطفى الغلاييني وقال

(١) لم يرسل الينا تأبين الشيخ الخياط لنترجمه هنا وكذلك تأبين الشيخ عبد الرحمن سلام

﴿ تأبين الشيخ مصطفى الغلاييني ﴾

اخلاق الفقيد

« الكمال يشق » قضية لا يختلف فيها اثنان ، ولا يحيد عن الاقرار بمضمونها انسان . لهذا ترى الناس مياليين طبعاً الى من يرون فيه الكمال . غير ان الكمال امر معنوي ، ليس قيد الحواس . وقد اعتاد الناس ان يختلفوا في تفسير المحسوسات ، ويتباينوا في فهم الامور الظاهرة . لهذا لا ترى عجباً اذا اختلفوا في تفسير المعاني ، وتباينوا في فهم المعقولات . والكمال من ادق الاشياء المعنوية ، وابعدها من متناول الافهام . فان كان الناس قد انقسموا فرقاً وطوائف واحزابا وجماعات في تفسير ما هو اجلى من الكمال ، فاحر بهم ان لا يتحدوا فكراً في تأويله وتفسيره

الاختلاف سنة من سنن البشر ، وجمع الناس على الاعتقاد بامر ورفض ما يناقضه ليس مما يمكن ، ولا في وسع احد تحقيقه . — وان تمناه كثير ممن سعوا ويسعون لنفع المجتمع — ذلك لان الاختلاف في الرأي لم يبرح فطر البشر منذ بدء الخليقة الى يومنا هذا . ومهما ترقى الناس ، وبلغوا من سمو الفكر ، ومضاء العزيمة وقوة الارادة ، فلن يصلوا الى ما يضم المختلفات ويؤلف بين المتناقضات . — هذا في المحسوسات فما بالك بالمعنويات — ، ذهب الناس في تفسير الكمال — كما ذهبوا في تأويل كل امر معنوي — مذاهب شتى حسبما يتراءى لهم او حسبما تسود . لا اذكر الآن مذاهب كل قوم في تفسير معنى الكمال ، فان هذا يحتاج الى موقف غير هذا الموقف ووقت لا يتسع له امثال هذا الوقت . وانما اذكر ما اذهب اليه ، ويذهب اليه كثير غيري ممن هم بشا كلوني طبعاً ورأيا ومحجة صواب . وفي عداد هؤلاء سيد الكمال السيد حسين رضا الذي اقام هذه الحفلة ذكرى لكماله

الكمال شجرة عظيمة يتفرع منها فروع كثيرة وكل فرع من هذه الفروع يعطي جنياً وأكلاً شهياً ، هي وان اختلفت الوانا ، وتباينت اشكالا ، فطعمها واحد ، ولذتها واحدة

ان جماعي الذين عنيتهم بريدون بالكمال « الخلق الحسن » فهو ملاك الفضيلة

ورابطة الإخاء ، ونبراس الحق ، وسلطان المجد ، فمن اعتصم بحبله المتين ، وتمسك بركنه الركين ، فهو من عباد الله الصالحين

ألا وان الشاب الصالح ، والهمام الارويع ، الذي اقمنا هذه الحفلة التكالية لاجله ، هو من خطب الاخلاق الفاضلة ، فاقت اليه بعقاليدها ، وسلمته زمامها ، فهام فيها هيام الولهان ، بهيفاء الحسان حتى ملكت ليه . وسادت قواده . حتى صار كله اخلاقاً حساناً . فلا تقع ناظرة قلبك اذا نظرت اليه الا على عادة حسنة ، وخلق كريم

اذا تكلمت عن الفقيد الحبيب ، فانما اتكلم بعد الاختبار ، واصف بعد طول المعاشرة . حتى عرفت منه ما لم يعرف اخوته واخوانه . فهو تربي في السن زميلي في طلب العلم .

عرفته منذ عشرة اعوام في مصر ، ايام كنت اطلب العلم في اكبر معهد علمي عربي ، وهو الازهر ، واول ما عرفته في ادارة مجلة المنار التي يحررها الاخوة الاكبر الاستاذ السيد محمد رشيد رضا كنت اول معرفتي اياه ارى فيه اقتباضاً يغلظه الراني لاول مرة صلفاً وكبراً ، وانما هو عقل ورزانة ، وبعد عن مخالطة من لا يتفق فكره مع فكره ، ولا يشاكل ذوقه ذوقه ؟ عرفت فيه منذ عرفته رجل الجد والعمل ، والادب والدرس ، والبعد عن سفاسف الامور ، والنأي عن مضادات الاخلاق ، ومجالس من لم يعرف فيهم الملكات الفاضلة ، والاخلاق الكريمة

عرفت فيه رجلا حرّاً مفرطا ، لا يخاف في سبيل الحق لومة لائم ، ولا يهاب في الذود عما يعتقده صحيحا عذل عاذل . وربما تحاشى مجلسه بعض من لا يرون للحق قيمة ، حذرا من أن يجيبهم بتوضيح باطلهم ، وتبيان فاسدهم . ومع هذا كله فكان اذا هفا هفوة ورُد الى الصواب ، ارتد اليه شاكرا أنعم من هداه

كان من أخلاقه الطيبة الصبر على المكروه . وتحمل المشاق في سبيل ما يريده حتى يناله . ولو أدى به ذلك الى جهد النفس وصرف المال . اما من جهة تدينه فقد كان رجلا متدينا حقا ، مسلما كما يريد القرآن لا كما يريد القارئون

وكان رجلا سلما لمن سالمه ، حربا على من خاصمه في غير الحق محبا لترقي الامة والوطن ، من غير نظر الى اختلاف المذاهب والاديان

وكان لا يعرف التمويه والتضليل ، بل يتكلم بما يعتقد دون ان يخشى احدا لانه لم يكن في قاموس اخلاقه ما يسمى رياء أو نفاقا

واعظم برهان على هذا انه كان طريدا للحكومة العثمانية وقد حكم عليه بالسجن سنوات لا اعلم عددها . فر الى مصر حيث يقيم اخوه الاكبر . هاربا بحريته ووجدانه . ومع هذا فقد كان يأتي الى هذه الديار دون مبالاة ويجتمع بأصدقائه في المحال العامة ويتذاكر معهم في الشؤون السياسية وحالة البلاد وما هي عليه من التأخر وما تنوء به من اعباء الظلم واضطهاد المصلحين ، حتى خشي ان يجالسه فتقصر قليلة من خواص اصدقائه ، خشية ان يكونوا قيد الرقابة أو عيون الحكومة الظالمة وقد ذكرني حريته هذه بقصة لطيفة لا بأس بايرادها :

يوم أعلن الدستور كنت قد واعدته ان القاه في بعض الامكنة فوافيته قبل الاجل المعين وقد برقت اساريره وجهي . فقال : ما وراءك قلت : ما كنا نتحدث به بالامس ، وكنا نرجو حصوله في سورية بادئ ذي بدء ، ثم علمنا انه سيبدأ في غيرها ، وكنا قرأنا قبل بضعة عشر يوما في الجرائد المصرية التي كنا نقرأها خفية ان فئة من الجيش ستثور للحصول على الدستور فقال : ذلك ما كنا نبغي . ثم قمنا من مجلسنا ذاك والصحب ما بين مصدق ومكذب وشاك ، الا القليل ، فذهبنا الى المكتبة العمومية لنبتاع منها نسخا من القانون الاساسي . فهبت صاحبها وظن اننا جواسيس فانكر ان يكون لديه فاقسمنا له كل يمين ان الدستور اعلن ، وان الحرية صارت ملكا للامة ، فاعتقد الرجل صدقنا ، ودخل دكانه وبحث عن النسخ ، وقد دام في البحث ما ينيف عن خمس دقيقة حتى اهتدى اليها ، لان القانون الاساسي كان — كما تظنون — من الاوراق النادرة في عرفهم وقد اشترك القصيم البيروتيين في كثير من الاحتفالات التي اقيمت اجلالا للدستور ، وخطب فيها خطبا كثيرة قد قدرها قدرها كل من سمعها .

واذكر انه كان يخطب في احدى الجوامع ، فذكر ما كانت عليه الحكومة من التضييق على أهل الذكاء ومن عرفوا بحرية الفكر . وكان والدي المرحوم يستمع الى خطابه ، فقاطعه اليكلام وقال له : لقد صدقت فيما تقول وانني قد نبهت ولدي

كثيرا ان يكلمك أو يجتمع بك الا حيث يأمن ، خوفا من ان يصيبه ما أصابك وان لم يخل من بعض ذلك ، وربما كان أصابه كله لولا ان من الشعلى الامة بالدستور

ان الفقيد أيها السادة كان مع كل ماوصفت هدفا قد ضربت عليه المروءة رواقها ، والشهامة قبابها ، كان اذا رأى مستنصرا اعانه ، أو مظلوما بذل جهده لرفع الظلم عنه . وكفاه فخرا وشرفا انه مات شهيد المروءة والشهامة . دفاعا عن ذات مناف رأها عرضة لسهام جلف جاف . يسمها من قوارص الكلام ، وبذاءة القول. مالم يحمل الفقيد السكوت عن مثله ، فردعه عن تعديه وظلمه ، فثارت في رأس ذلك المتشرد الجلف نخوة الجاهلية ، فانتضى خنجره واهوى به الى السيد بريد القضاء على شهامته وأدبه ، غير ان شجاعة الفقيد المشهورة دفعته الى انتزاع الخنجر من يد ذلك الجبان الخاسر ، فاصلح بينها بعض من كان مارا ، فذهب السيد آمنا على مثل هذه الاخلاق السافلة ، فلم يخط بضع خطوات حتى فاجأه ذلك الملعون بإطلاق الرصاص فلم يقصده ، بل اخترق احشاءه ، وبقي في منزله بضعة أيام دون ان ينفعه طبيب :

واذا المنية انشبت أظفارها ألفيت كل تميمة لا تنفع

وقد احتمل مضض هذه الايام بصبر وسكون دون ان يؤثر عنه كلمة تأوه . وقبل أن يفارق هذه الدنيا الفانية بثوان ، قال لشقيقته ، وكانت تمرضه ـ بهدوء رابط : « اني سأموت بعد قليل فاياك ان تصرخي واحذري ان يزعجني بصراخه احد » ولم يكد يتم هذه الكلمات حتى قال : « لا إله الا الله » وقد فارق الحياة.

وقد كان لوفاته رنة حزن عمت كل من عرف اخلاقه وأدبه وقرأ ما كان يذيعه يراعه الحر البليغ من المقالات والقصائد في الموضوعات الكثيرة المختلفة

رحمه الله رحمة واسعة واغدق عليه سحائب الرضوان

(تأبين جرجي افندي نقولا باز صاحب مجلة المشتاه)

ونهض الفاضل جرجي افندي باز فقال :

سهم واحد أيها الاخوان ! سهم من كنانة القدر يرمي القضاء به الناس

على السواء بلا استثناء فيفعل في الشباب فعلا واحدا ولكن تأثير فعله يختلف في الآل والاصحاب . ولكم من بيوت ولا يشعر الناس بفقده حتى الآن قلما يتأثرون ، ولكم فقيد يألم ارقه كثيرون ويودون الا يتعزون . ولا عبرة بعمر الميت فان الشخصية هي الثمرة وبحسب الاحتياج اليها يكون الحزن . وما حزن الاغنياء عنها بالمال أو بالعلم او بالفضل أو بالادب الا احتياج الى ولائها وشعورها الى املاء فراغ العاطفة ، الى حفظ الحاسات من التأثر

وهذا فقيدنا لم يعمر بعد ولا توغل في الشباب ، لم يشتغل كثيرا ولا اشتهر في كل مقام وناده ومع ذلك عد فقده خسارة لا تعوض بأي كان لان شخصيته ذات استعداد يحتاج اليه الشرق ، لان نفسه كانت حية حرة كانت تكره الجمود والخمول ، تبغض الجهل والبلادة ، تمقت الظلم والاستبداد ، تستنكف من الذل والهوان تأبى الدنايا والنافهات ، تستفظع التعصب والاستئثار ، كانت تحب العلم ، تؤيد الحق ، تناصر الضعيف ، تجهر بالرأي ، تخلص بالقول ، تجرأ بالعمل ، تستقل بالفكر ، تسترشد بالبحث ، تتأكد بالاختبار . كانت تعتقد ان المرأة انسان كالرجل لها حقوق ولها نفس وكفاها بهذه السجايا تعريفا لها

هذا حسبين ياقوم ! فهل يليق به هذا الاكرام — والشرق محتاج الى أمثاله ؟ فهل بعد فقده خسارة ؟ هذا وصفي ! فهل احاط به وصفي ؟ مالي وتقلبه السيال وانشائه البليغ وتقلباته الرنانة وآثار كده وجده فحسبي منه نفسه والنفس هي الانسان ، حسبي ذكاؤه ولطفه ، مروءته وشهامته ، حسبي ما وصفت من خفايا نفسه وما كان يرجى من خيرها لمواطنيه ، حسبي سبب قتله . ومن أولى مني بالحزن عليه لهذا السبب ؟ وانا احسبه واضعا حجر الزاوية لتأييد حق المرأة في الشرق والضحية الاولى التي يقدمها الشرقيون فداء هذا الحق

ان المبادئ لا تثبت الا على جثث الشهداء . والمرسلون قوتهم بشهاداتهم فحيث لا شهداء لا مبادئ . واذا عد قاسم امين رسول تحرير المرأة في الشرق فان وصفي رضا شهيده ، ذاك المهندس وهذا المؤسس ، الاول قائل ، والثاني فاعل ، ولذلك أحسبه حجر الزاوية لتأييد حق المرأة والضحية الاولى التي يقدمها الشرقيون فداء هذا الحق

في هيكل الحرية في صخر الطبيعة، حيث لا حائط ولا سقف ولا منبع هناك ضحيتي حسين. على قارعة الطريق التهب جوف كثيب المعركة، وفي سبيل حق المرأة استشهد. رأى وحشاً بهيئة رجل بهين ملاكاً بهيئة امرأة، ذئباً يكاد يفترس نعجة، قوياً يستبد بضعيف، وعاتياً يظلم ذات حق فابت مروءته غض النظر فتداخل في الامر فاستغاثت به الفتاة فلباها واستأسد في الدفاع عنها وعافها من براثن ذاك الوحش ولكن بذل دمه. جعل صدره اولا ترساً لها واذ عجزت يد الذئب عن ازاحة هذا الصدر همت بتمزيقه بخنجر ولكن ساعد الشهيد كانت اقوى فانتزعت الخنجر منها وسار القيد محافظاً على النعجة رافع الجبهة كالاسد، وهل اعظم ممن يدافع عن المرأة في الشرق حيث لا تزال ضعيفة غيبة؟ سار ولكنه واأسفاه لم يجتز بضع خطوات حتى فاجأه الرصاص في احشاه واقتنصت اثاته باستغاثة الصبية ولكن اين من يدفع البلاء؟ لا علم ولا حكومة ولا اطباء حق ولا بشر وانما ارهام وترهات واشخاص على الكراسي وقوانين مكتوبة وشهادات مسهبة واسماء بلا مسميات واجسام تأكل وتشرب وتنام ـ الا ثلث يد القاتل. ليت امه لم تلده. ليت الشمس لم تشرق عليه ليته يشعر بفظاعة جرمه وبان القتيل خير من الوف مثله فيندبه اكثر مما يندب نفسه ويقول وهو صاعد الى المشنقة الويل المستبد بالمرأة

وحري بامثال القيد المتهدفين للقتل بتأييد القول بالعمل ـ حري بهم وباصحابهم نصب تمثال له في قلب كل منهم احياءً لذكره في القلوب وقد كان حبيب القلوب احب الحرية الشخصية ومات فداءها، احب الاستقلال الفكري وقضى ضحيته احب المرأة بالحق والبسالة بالانصاف وراح شهيد ذلك

فياهدف المرأة! فقيد الواجب! يامن ثوى بالدفاع عن امرأة! يانصير الضعيف ومقاوم الاستبداد! ياجاهداً خير الجهاد لخير الامة! لئن غيبك اللحد عافذكرك حي معنا وانا لأدبك وفضلك لناشرون

﴿ أبيات جرجي افندي عطية ﴾

وارتجل جرجي افندي عطية هذه الابيات

ايها الساجعُ هيجت بكايا ... فلقد أذكرتني الطلل السعايا

بليلاً في روض علم شاديا أسكنته بغتةً لمن الثنايا
كان يشدو مطربا ألبابنا فغدا في لمحة احدى الرمايا
غاله سهم أثيم غادر وهو لم يأثم ولم يدر لطلايا
لم يكن قط له ذنب سوى انه راقي الهجى ساحي الثنايا
آلمي راقم بند النهى أربعي نفسه تأبى التدانيا
ورقي المرء في اخلاقه قد غدا في شرقنا احدى البلايا
حفظ اهل العلم في الشرق الشقا من ربى لبنان هن حلايا
يطلبون الخير للشعب وما من جزا يلقونه الا الرزايا
يا صريع الحق نم في غبطة ولكم الحق في الشرق ضحايا
ان تكن بالقتل جوزيت هنا فستلقى الاجر من باري البرايا
فهو يوليك نعيماً داعماً لا نعاكيه من الناس العطايا
ايها الغيث اسق قبرا قد هوى من شهيد الفضل هاتيك البقايا
انبت الزهر عليه وله ابدا من صيحه أزكى التحايا

﴿ قصيدة الياس افندي حنيكاتي ﴾

وقال الشاعر الرقيق الياس افندي حنيكاتي هذه القصيدة

لم يحل بعد نجيعة الآداب بحسين وصفي غير صاحب
شهم لمصرعه القلوب تفطرت حزنا وباتت في اشد مصاب
وعجاجر الادباء من نار الاسى جفت فلا تقوى على التسكاب
امست به القلون مسقط راسه في حالة تنفي عن الاسهاب
تشكو الى الاوطان وغداً غاله تشكو عدوّ الدين والآداب
تشكو وشكواها تزيد شجونها بجسيم رزء لم يكن بحساب
جاءتها الفضراء كالآس اغتدت حمراء من دمه كما العناب
لم يقترف وزراً يدنس نفسه حتى يحل عليه شر عقاب

لكن غيرة على الاعراض قد ... اودت به في عقول شراب
فقضى شهيد شيامة وكفى بها ... عجبا لدى الاعجام والاعراب
بالمنة الاحزان بعد الني الوغا ... والفضل بل بالهفة الكذاب
من اسير الحق غير مداهن ... فيه ولا وجل ولا هياب
يأبى مهابة الوجوه وضده ... في الناس كل ملق ومحاب
والفذ ما تأباه نفس نفسه ... لغو الكلام وفارغ الالقاب
آثاره الغراء في بيروت لا ... تفنى ولا تفنى مدى الاحقاب
عرفت ذوو الالباب فيها فضله ... والفضل يعرفه ذوو الالباب
فلذاك ان احيا له ذكرى فما ... بالامر من عجب ولا استغراب
فالمرء يحيا ذكره بفضائل ... الآداب لا بمطارف الاثواب
فطباك يا ابن رشا سلام عاطر ... منا وفيض رضى من الوهاب

﴿ تأبين نجيب الغندي باشا ﴾

وقال الفاضل نجيب افندي باش

الخواجا !

ماذا عساني ان اقول وقد تقدمني هؤلاء الافاضل . ثم استولى بأبي ان اوفي الفقيد حقه من الرثاء والتأبين ولن ازيد على ما قاله اخواني فيه من المزايا العالية والصفات الحميدة اذ هي انما تلاثي من القول وتوكله عما اتصف به الفقيد لاني له صديق ومن ادرى بالصديق من الصديق ؟

نشأ الفقيد في القطرين احدهما قطر لبنان الجبلية لا والثانية لها من جهة التقسيم الاداري فالولايات المتحدة هو مرجع في معجم سيده المجد والفخار وذاته العلم والنبل . فقطر الفقيد الابتدائية في القرية وتعلم في طرابلس . وكان استعداده الفطري وذكاؤه الفطري يساعدانه في التفوق على اقرانه ويرتفانه الى اعلى مراتب التلمذة اينما كان . والاقطر فهو من شجرة عربية الاصل قرشية الفرع هاشمية العرق وهو في حياته وبعد كجده الحسين حية وثريا

فقى تم فيه ما يسر صديقه على ان فيه ما يسوء الاعاديا

ولما افلت الى مصر اخوه العلامة السيد رشيد من الظلم ورجاله والسوء وآله ، عمد الى محاربة المستبدين الغاشمين وقتالهم بالبراع فاوجس رجال هذا العهد خيفة من الوكر الذي طار منه النسر فضغطوا على الوكر ومن فيه وشرعوا يفتنون في تعذيبهم وتهديدهم لاسكات ذلك الصوت الذي يرن صداه في جاوه والهند وفارس والجزائر ومراكش والشام والقطر المصري . فطورا يسجنون الولد وآونة يغررون الوالد فلم يثنوا باعمالهم هذه عزيمة نازل مصر ولم يقدروا على اخماد تلك الجذوة المشتعلة في افئدة اهل ذلك البيت . فلما بلغ الفقيد اشده واشتد ساعده في العلم نشط اليهما على حداثة سنه ولحق باخيه وحذا حذوه في نقد الحكومة الماضية ورجالها السفاكين واقام هنالك ست سنين كان في خلالها يدرس في الازهر على اشهر اساتيذه منهم الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رب هذه الثورة الفكرية والنهضة العلمية ، وقد طمحت نفسه الى الكتابة فكان يكتب في المنار والجريدة المصرية وغيرهما تحت امضاء « المشرقي » وامضاءآت مختلفة حتى بلغ درجة في الكتابة اذا لم اقل تفوق كتابة الذين مارسوها عشر بن سنة فهي لاتقل عنهم في شيء ، وكان لايفوته علم من علوم العربية الاثني عشر الاالمحاط به كاحد اساتيذه ولا عجب فهو شقيق الاستاذ السيد رشيد رضا وتلميذ الشيخ محمد عبده .

ولما من الله على الامة العثمانية بنعمة الشورى ، جاء بيروت مهللاً لها فرحا وحبورا ، وخطب في الحديقة مرارا كان يرتجل خطابه دون ان يستعد له ومع ذلك كانت خطبه لا يشتم منها رائحة الارتجال لانه رحمه الله ضليع في العربية حاضر الذهن وكان يكتب المقالة بين لفيف من اصحابه ولا تشغله احاديثهم ولا تلهيه مسامراتهم عما يكتب وكان يجيبهم ويباحثهم ولا يفقد فكرة هيأها او نتيجة اعدها ، ولقد توفرت فيه كل صفات الرجولة التي يحسد صاحبها و يغبط حائزها : إباء لا يمازجه كبر ، ووفاء لا يشوبه رياء ، ولين لا ضعة فيه ، وفخر مجرد من جفاء ، وادب خالص من غرور ، وعلم عار عن فضول . كان رحمه الله قليل الكلام ، كثير التفكير ، قوي الحجة ثابت الروع . لا يرضخ لكبير ، ولا يستهين بصغير ،

يذهب غيرة في اصلاح امته، ويندب حسرة على انحطاط قومه، لا يفرق بين طائفة وطائفة الا بالعلم والفضل — شأن عظماء الرجال، عظماء النفوس الذين يعتبرون ابناء آدم اخوانا مهما تباينت لغاتهم واختلفت مذاهبهم فهو لعمري حري لمبداه هذا بالاخبار والاجلال

يحق لي ان ابكي صبغنا ما دمت حيا لاني اخوه في ثلاث : في العربية، في الوطنية، في المبدأ الذي كان يعيش من أجله واذا مات فوته من اجله وهو تكاثر ارومات العرب وتضافر عدائهم وجمعهم كتلة واحدة في وجه العدو وصد هجماته عنهم، ولا يتم ذلك الا بالعلم — ورددته قائلا (شلت يداه) عن تعذيب فتاة من داعي العلم —

الا ليت امي لم تلدني وليتني سبقتك اذ كنا الى غاية نجري

وقصارى القول في فقيدنا العزيز انه لو عمر عمر من عظم من الرجال اولي النهضات العلمية والسياسية منا لكان له بينهم شأن يحفظه التاريخ ويردده له جيل بعد جيل، لكن والاسف غاجلته منيته فقصفت به غصنا نضيرا

يا موت لو أقلت عثرته يا موت لو تركته لغد
يا موت لو لم تكن تعاجله لكان لا شك كوكب البلد

جرت العادة عند الامم المتمدنة أن تحيي ذكرى نوابغها بعد وفاتهم ولقد تتفاوت درجات النبوغ . فمنهم من يشتهر بالشجاعة الادبية ويصرح بمعتقده ولو كان في ذلك ذهاب نفسه، ومنهم من يحيي أيامه في التأليف والتنقيب ومن هؤلاء الكاتب والشاعر، ومنهم من ينهك قواه ويسهر الليالي الطوال ويسجن نفسه امدا وأعواما ليأتي قومه والناس بشيء جديد وهذا المخترع والمكتشف، ومنهم من يخدم دولته في قيادة أو ادارة فيجيد القيام بها ويخلص في الخدمة . ولقد يختص بالامم التي شأن افرادها على ما ذكرت أن تقيم لهم ليالي متعددات تذكر فيها آثارهم وأفكارهم فتحيي بعملها هذا شعورا يهب بابنائها الى الرقي ويربأ بهم نحو العمران . وقد تفنن الغربيون في احياء ذكر عظمائهم وتجديد عهم علائهم وخلودهم وقوادهم فتراهم يسمون الشوارع والبواخر والسفن الحربية باسمائهم وانشاء

النظام ويتصبون فيلاً تمثال كل منهم في الازقة والشوارع حتى انه لا يكاد يخلو شارع من تمثال عظيم ، وبهذه الواسطة وبمثل هذا التشجيع يعكف رجال الغرب على العمل دون كد ولا ملل . والقوم كلهم ما بين مستحسن ومشجع حتى يصل واحدهم الى غايته وينتمي الى أمله. أما الامم الشرقية فانها واخواتها العربية على طرفي نقيض وقد أبدع حافظ ابراهيم في هذا المعنى اذ قال : ينبغ النابغة فينبعث أشقاها للطعن عليه فلا يزال يكيد له حتى يبلغ منه ، ويكتب فيها الكاتب فينبري له سفيها فلا يفتأ ينبح عليه حتى ينشب فيه نابه ، ويفسد عليه كتابه ، ويشعر فيها الشاعر فيحمل عليه جاهلها فلا ينفك عنه حتى يغلبه على أمره ، ويقهره على شعره : فكيف بعد هذا تزكوا لنا حصاة وتصل لنا قناة

اما بعد اعلان الشورى في بلادنا فقد تغيرت أخلاقنا وتحسنت علاقتنا وأصبحنا نعترف للفاضل بفضله — اللهم الا نفر قليل من طبقة الدنيا — وانصع دليل لتأييد هذه القضية هو احتفالنا بتأبين المرحوم السيد حسين واحياء ذكراه لتنويهنا بنجابته ونبله ، واعترافنا بادبه وفضله ، وأني أبها الاخ السيد احمد (١) لا اعزيك وحدك بفقد المرحوم بل أعزي النابتة العربية جماعها لانها فقدت به أخا كريما وشهما عظيما

فاصبح في لحد من الارض ميتا　　وكانت بمعيا تضيق الصحاصح
سأبكيك ما فاضت دموعي فان تقض　　فحسبك مني ما تحن الجوانح
فما أنا من رزء وان جل جازع　　ولا بسرور بعد موتك فارح
لئن حسنت فيك المراثي وذكرها　　فقد حسنت من قبل فيك المدائح

﴿ تأبين أمين بك طليع ﴾

وقال امين بك طليع

اذا مت فانعيني بما انا اهله　　وشقي علي الجيب يا ابنة معبد

بيت قاله طرفة بن العبد صاحب المعلقة المشهورة منذ جيل ونصف جيل

اقدم مقدمة لكلامي

(١) يعني شقيقنا السيد احمد عبدي رضا وكان حاضر الحفلة

الاسيف مكلف لكلمة عامة وهي اضمن ما يمكن ان يكلف به عاجز مثلي مع من سمعتم وتسمعون من فضلاء الشعراء ومشاهير الكتاب . فخصص كل منهم نفسه بما عرفه في الفقيد رحمه الله واختبره فيه من الاخلاق والمعارف والمبادي والسياسة وترك لي تقديم صورة اجمالية لاجاريهم في الموضوع أو بالحري كي لا احرم من قليل منه في جانب ما أصابني من كثير الاسى والحزن

قيدنا العزيز المحتفل بتأبينه هذه الليلة السيد حسين وصفي رضا سليل العترة الحسينية الطاهرة وفرع الشجرة الزكية الزاهرة شاب كان في ريعان الصبا ومقتبل العمر نبت في بيت الحسب ، ودرج من مهد الفضيلة والادب ، فنشأ فاضلا أديبا ، ولوذعيا أريبا ، وشابا عاقلا مفكرا ، ووطنيا مخلصا ، وشهما اباء منذ سنوات في بيروت وهو على أهبة السفر الى القطر المصري لاحقا باخيه المصلح الشهير العلامة السيد رشيد وسمت بيننا قواعد المودة وتوثقت عرى المصافاة فعرفت منه حرا متطرفا لايام كانت الحرية جريمة لا تغتفر وجرئيا مقداما لا تأخذه في الحق لومة لائم ايام كانت الجرأة جزاؤها البوسفور ، يحي باللائمة على دولة الظلم ورئيسها وعملها في قصر بلاد الظلم . ثم رأيته في مصر بلاد الحرية بلاد النور فرأيته حرا رزينا يدرك ان حرية الشخص تنتهي حيث تبتدي حرية شخص آخر ، وحادثته هنا وهناك قبل الدستور وبعد الدستور فاذا هو هو : صحيح المذهب فصيح اللهجة اذا روى ابدع ، واذا جادل اقنع ، واذا استمعي استمع ، حاد الذهن نازه النفس شديد التمسك بنواحي الدين الحنيف مع تسامح نادر المثال مع مخالفيه ، وتساهل فيما يعرفه من ملكات اصدقائه وحبيبه

لا أنسى ولن أنسى أياما معدودات قضيناها هذ الصيف في جبل لبنان حيث الهواء عليل ، والنسيم بليل ، والماء سلسبيل ، وهو بيننا — والهف قلبي عليه ! — الدين لا يستقل رشده ، والاخلاقي لا يمج نصحه ، والنديم لا يمل مجلسه .. لقد كادت تخنقني الزفرات اوزغي اللهم صبرا . . . الصحف والمجلات تشهد أنه رحمه الله افاد الادب باجتهاده ، وخدم الوطن بعلمه وجهاده ، ودافع في سبيل الشهامة بسعيه ثم — وأسفاه! — بدمه ... — شلت يد القاتل — لو مرت مع العواطف لبكته بكاء الخنساء على صخر ،

ورثيته بكل قصيدة عصماء بكل مبتكر من الشعر ، ولا أغزر من عبرات يذرفها الصديق المقيم على الصديق الراحل ، ولا اجزل من عبارات يرثى بها الاخ المرحوم الواثل . ولكن عفوا ! فلا اروع هذه الشعائر الرقيقة والقلوب الكريمة (مع ما تعانيه) بعظوم يسترعقد الدموع ، ومثور يذكي نارا بين الضلوع ، ولا اعادل تجسيم الرزء وتعظيم المصاب فان الرزء في نفسه جسيم والمصاب جليل

أما ترى البدر ان تأملت وافى　　من هوى يكتفان دون النجوم

وهو الدهر ليس ينفك ينحو　　بالمصاب العظيم نحو العظيم

ولا أسهب في بيان الخسارة وكلكم تعرفون ان هذا الوطن العزيز لفي أمس الاحتياج الى أديب مع كثرة الادباء ، وفي أشد الاضطرار الى مرشد مع قلة الاحرار يخدمه ويعلي من شأنه وكلكم تعلمون ان هذه الفئة — فئة الادباء والمفكرين — سلسلة مرتبطة الحلقات تعوزها حلقة تزاد وهي بالطبع تؤثر بفقدها فقد . قلت اذا « مت » الخ ...

شاعر الجاهلية — وعصره عصر يكرم النابغين ويعظم المتفوقين — عرف ان الشرق والشرقيين لا يخلون بغير وجيه حي ومفكر متحرك يعظمونه ويمجدونه ولا يبالون بغير حاكم حكم يقدسونه ويعفرون بين يديه الطيب ويجرون على أقدامه المياه وكأنه أدرك بتلك الأدلة — مما كان فيزته من اجلال العلماء والشعراء — أن العالم والشاعر والاديب قد يحتاجون بعد مفارقة هذه الحياة الدنيا الى من يذكرهم أثرا ويذرف عليهم دمعة ويستمطر رحمة مثال امه أو زوجته أو نفيسه (لا يضرني من بي) بان تحيه بما هو عليه من ارجمية نادرة وبلاغة معجزة وشاعرية فطرية وطلب اليها أن تشق عليه الجيب .

فسكين هو النابغة في الشرق وسكين هو الاديب يفنى نفسه ليضيء ويحرق دماغه لينير ، يقضي العمر في جهاد مرير وعناء مستمر ، فالاماتة يصيب والانفس يغال واذا هو مات فلا ينعى ولا يشق عليه جيب ولا يكون غير سكون دائم على جسم هامد تذل بقياه على ما عاناه من التعب وما تكبده في دنياه من النصب

بيد ان أدباء بيروت ولبنان اتجهوا منذ عشرات من السنين الى حفظ

الاديب من دنياه مادة فعمدوا الى اقامة مثل هذه المحفلات تقال بها كلمة وتذرف دمعة وهي أقل ما يكافأ به أديب ميت ، وأفضل ما يشجع به أديب حي فحيا الله هذا الشعور .

ان الانسان ثلاثة على حد ما قيل: واحد يمر في هذه الحياة ولا يبقى بعده أثرا كما يمر العصفور في الهواء أو السفينة في الماء ، وواحد يمر كما يمر الطيب في القارورة يبقى بعده ريحا طيبا لا يذهب بعد ذهابه ، وواحد يكون دعامة بنيان عظيم فاذا ذهب سقط ذلك البنيان

اخونا حسين وصفي رضا مثل كل اديب مرّ في هذه الحياة كما يمر الطيب في القارورة وترك بعده طيباً لا يذهب بذهابه . فانا انعيه بما هو اهله من ادب غض ، ومجد كريم ، وخلق دمث ، وقول حر ، وانشر من اخلاقه ومباديه اريجا يبقى الى ما شاء الله ، واستمطر على تلك الروح الشريفة شآبيب الرحمة والرضوان واسأل لذويه وخلانه ومحبيه الصبر والسلوان ، وللذوات الحاضرين الوقاية من الاحزان .

سلام على روح الحسين ورمسه ... على قبر يارمس انت حجابه
فلا تثقلنه فهو عضب مهند ... ابى غمده الدنيا فانت قرابه
وانت به قارورة الطيب ضمنها ... شمائله ، اخلاقه ، وشبابه
لبسنا عليه الخط ثوب حداده ... وللشرق من حظ الاديب خضابه
فيا رحمة اني حملت فبلغي ... مصابك في شرق كبير مصابه
ولا تحرمينا من خيال يزورنا ... فنحن ذووه فاعلمي وصحابه

وبعد تمام الاحتفال ارفض القوم يستمطرون شآبيب الرحمة على تلك الروح الطاهرة ويندبون حظ قومهم ويشكرون للمحتفلين عنايتهم بالفضل واهله اه وهذا ما انتهى الينا من وصف هذه الحفلة البيضاء ولا تزال تأتينا تعاز ومراث من الجهات البعيدة والقريبة وانا نشكر للجميع تعازيهم ومشاركتنا الحزن من نشرنا له تعزيته ومن لم ننشرها له لكونها ليست على شرطنا خلوها من ذكر شيء من مناقب الفقيد ـ سائلين الله ان يشكر عنا سعي الجميع والسلام